

الرسالة

قال " الشافعي : " : إنَّ الخلقَ لِمَا سَدَقَ في علمه مما أراد بخلقهم وبهم لا مُعَقِّبَ لحُكْمِهِ وهو سريع الحِساب .

وأنزل عليهم الكتابَ تَبَيَانًا لكل شيءٍ وهُدًى ورحمةً وفرض فيه فرائض أثبتها وأُخْرَى نَسَخَهَا رحمةً لِخَلْقِهِ بالتخفيف عنهم وبالتوسعة عليهم زيادة فيما ابتدأهم به من نِعَمِهِ . وأثابهم على الانتهاء إلى ما أثبت عليهم : جَنَدَتَهُ والنجاة من عذابه فَعَمَّتَهُم رحمتُهُ فيما أثبت ونسخ فله الحمد على نعمه .

وأبان أنَّ لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب وأن السنة لا ناسخة للكتاب وإنما هي تبديع للكتاب يُمَثَّلُ ما نَزَلَ نَصًّا ومفسِّرةٌ معنى ما أنزل الله منه جُمَلًا . قال الله : " وَإِذَا تُلِيَتْ آيَاتُنَا بآيَاتُنَا بَدِئَاتٍ قَالِ السَّادِقِينَ لَا يَرَوْنَ كُنُوزَ لِلِقَاءِ رَبِّهِمْ بَدِئَاتٍ هَذَا أَوْ بَدِئَاتٍ لَهُمْ . قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَ لَكُمْ مِنْ تِلْكَ آيَاتٍ نَفْسِي إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُبَدِّلُوا مَا يُوحَى إِلَيَّ . إِنْ زَيْتٌ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُمْ رَبِّي عَذَابٌ بِئْسَ عَذَابٌ عَظِيمٌ (15) " [يونس] .

فأخبر الله أنه فرضَ على نبيه اتباعَ ما يوحى إليه ولم يجعل له تبديله من تِلْكَ آيَاتٍ نفسه .

وفي قوله : " مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَ لَكُمْ مِنْ تِلْكَ آيَاتٍ نَفْسِي (15) " [يونس] بيانٌ ما وصفتُ من أنه لا يَنسَخُ كتابَ الله إلا كتابُهُ كما كان المُبْدِئُ تَدْرِيًا لفرضه فهو المُزِيلُ المَثْبُتُ لِمَا شَاءَ منه جل ثناؤه ولا يكون ذلك لأحد من خلقه . وكذلك قال : " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39) " [الرعد] .

وقد قال بعضُ أهل العلم : في هذه الآية - والله أعلم - دلالة على أن الله جعل لرسوله أن يقولَ من تِلْكَ آيَاتٍ نفسه بتوقيفه فيما لم يُنزلْ فيه كتابًا والله أعلم . وقيل في قوله : " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ . . . (39) " [الرعد] : يمحو فَرَضَ ما يشاء ويثبت فرض ما يشاء وهذا يُشبه ما قيل والله أعلم .

[ص 108] وفي كتاب الله دلالة عليه قال الله : " مَا نَنسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهُ أَوْ مِثْلَهَا . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَالِمُ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106) " [البقرة] .

فأخبرنا أن نسج القرآن وتأخير إنزاله لا يكون إلا بقدرآن مثله .
وقال : " وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّامُ بِمَا يُنذِرُ لُ
: قَالُوا : إِنْ زَمَّ مَا أَنْزَلْنَا مُفْتَرٍ (101) " [النحل] .

وهكذا سنة رسولنا لا يندسخها إلا سنة لرسولنا ولو أحدثنا لرسوله في أمر سن
فيه غير ما سن رسولنا : لسننا فيما أحدثنا إليه حتى يبيدنا للناس أن له سنة
ناسخة لسننا قديلاها مما يخالفها . وهذا مذكور في سنته - A